

217369 - هل الشكر على المصيبة يزيد من المصائب؟

السؤال

هل الشكر على المصيبة يزيد المصائب لأن الله يقول : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) ؟ وهل الحمد في نفس معنى الشكر؟

الإجابة المفصلة

أولاً :

الشكر على المصيبة مستحب ، لأنه فوق الرضا بها .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

"والمصائب التي تحل بالعبد ، وليس له حيلة في دفعها، كموت من يعزُّ عليه ، وسرقة ماله، ومرضه ، ونحو ذلك ، فإن للعبد فيها أربع مقامات:

أحدها : مقام العجز، وهو مقام الجزع والشكوى والسخط ، وهذا ما لا يفعله إلا أقل الناس عقلاً ودينياً ومروءة .

المقام الثاني: مقام الصبر ، إما لله ، وإما للمروءة الإنسانية .

المقام الثالث : مقام الرضى وهو أعلى من مقام الصبر، وفي وجوبه نزاع ، والصبر متفق على وجوبه .

المقام الرابع : مقام الشكر ، وهو أعلى من مقام الرضى ؛ فإنه يشهدُ البليةَ نعمة ، فيشكر المُبتلى عليها " انتهى من "عدة الصابرين" (67) .

قال القاسمي رحمه الله :

" اعْلَمْ أَنَّهُ مَا مِنْ نِعْمَةٍ مِنَ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، إِلَّا وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بَلَاءً بِالإِضَافَةِ ، وَنِعْمَةً كَذَلِكَ ، فَرَبُّ عَبْدٍ تَكُونُ لَهُ الْخَيْرَةُ فِي الْفَقْرِ وَالْمَرَضِ وَلَوْ صَحَّ بَدَنُهُ وَكَثُرَ مَالُهُ لَبَطَرَ وَبَعَى ، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَوْا فِي الْأَرْضِ) [الشورى: 27] وَقَالَ - تَعَالَى - : (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ) [العلق: 6 و 7] ، وَكَذَلِكَ الرَّؤُوفَةُ وَالْوَلَدُ وَالْقَرِيبُ وَأُمَّثَالُهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا إِلَّا وَفِيهِ حِكْمَةٌ وَنِعْمَةٌ أَيْضًا .

فَإِذَنْ ؛ فِي خَلْقِ اللَّهِ - تَعَالَى - الْبَلَاءُ ؛ نِعْمَةٌ أَيْضًا ؛ إِمَّا عَلَى الْمُبْتَلَى ، أَوْ عَلَى غَيْرِ الْمُبْتَلَى ، فَإِذَنْ كُلُّ حَالَةٍ لَا تُوصَفُ بِأَنَّهَا بَلَاءٌ مُطْلَقٌ ، وَلَا نِعْمَةٌ مُطْلَقَةٌ فَيجتمعُ فِيهَا عَلَى الْعَبْدِ وَطَيْفَتَانِ: الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ جَمِيعًا .

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَمَّا مُتَضَادَّانِ ، فَكَيْفَ يجتمعانِ ، إِذْ لَا صَبْرَ إِلَّا عَلَى عَمٍّ ، وَلَا شُكْرَ إِلَّا عَلَى فَرْحٍ؟ فَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ قَدْ يُعْتَمُّ بِهِ مِنْ وَجْهِ ، وَيُفْرَحُ بِهِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ ، فَيَكُونُ الصَّبْرُ مِنْ حَيْثُ الإِغْتِمَامُ ، وَالشُّكْرُ مِنْ حَيْثُ الْفَرَحُ .

وَفِي كُلِّ فَرْقٍ وَمَرَضٍ وَخَوْفٍ وَبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا : حَمْسَةٌ أُمُورٍ يَنْبَغِي أَنْ يَفْرَحَ الْعَاقِلُ بِهَا ، وَيَشْكُرَ عَلَيْهَا :
أَحَدُهَا : أَنَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ وَمَرَضٍ : يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ مِنْهَا ، إِذْ مَفْدُورَاتُ اللَّهِ - تَعَالَى - لَا تَنْتَاهِي ، فَلَوْ ضَعَّفَهَا اللَّهُ
وَرَادَهَا ، مَاذَا كَانَ يَرُدُّهُ وَيَحْجِزُهُ ؟ فَلْيَشْكُرْ إِذْ لَمْ تَكُنْ أَعْظَمَ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا .

الثَّانِي : أَنَّهُ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ مُصِيبَتُهُ فِي دِينِهِ ، وَفِي الْحَبْرِ : «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا» .

الثَّلَاثُ : أَنَّهُ مَا مِنْ عُقُوبَةٍ إِلَّا وَيُتَصَوَّرُ أَنْ تُؤَخَّرَ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَمَصَائِبُ الدُّنْيَا يُتَسَلَّى عَنْهَا بِأَسْبَابٍ أُخْرَى ، تَهْوُنُ الْمُصِيبَةَ
فَيَخِفُّ وَقَفْعُهَا ، وَمُصِيبَةُ الْآخِرَةِ تَدُومُ ، فَلَعَلَّهُ لَمْ تُؤَخَّرْ عُقُوبَتُهُ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَعَجَّلَتْ عُقُوبَتُهُ فِي الدُّنْيَا ، فَلِمَ لَا يَشْكُرُ
اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ ؟

الرَّابِعُ : أَنَّ هَذِهِ الْمُصِيبَةَ وَالْبَلِيَّةَ : كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَلَيْهِ فِي أُمَّ الْكِتَابِ ، وَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ وُضُولِهَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ وَصَلَتْ ، وَوَقَعَ
الْفَرَاغُ ، وَاسْتَرَاحَ مِنْ بَعْضِهَا ، أَوْ مِنْ جَمِيعِهَا ، فَهَذِهِ نِعْمَةٌ .

الْحَامِسُ : أَنَّ ثَوَابَهَا أَكْثَرُ مِنْهَا ، فَإِنَّ مَصَائِبَ الدُّنْيَا طُرُقٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَكُلُّ بَلَاءٍ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ : مِثَالُهُ الدَّوَاءُ
الَّذِي يُؤَلِّمُ فِي الْحَالِ ، وَيَنْفَعُ فِي الْمَالِ .

فَمَنْ عَرَفَ هَذَا : تُصَوَّرَ مِنْهُ أَنْ يَشْكُرَ عَلَى الْبَلَايَا ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذِهِ النَّعْمَ فِي الْبَلَاءِ لَمْ يُتَصَوَّرَ مِنْهُ الشُّكْرُ ؛ لِأَنَّ
الشُّكْرَ يَنْتَبِعُ مَعْرِفَةَ النَّعْمَةِ بِالضَّرُورَةِ ، وَمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِأَنَّ ثَوَابَ الْمُصِيبَةِ أَكْبَرُ مِنَ الْمُصِيبَةِ ، لَمْ يُتَصَوَّرَ مِنْهُ الشُّكْرُ عَلَى
الْمُصِيبَةِ ..

ثُمَّ مَعَ فَضْلِ النَّعْمَةِ فِي الْبَلَاءِ كَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْتَعِيدُ فِي دُعَائِهِ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا ، وَعَذَابِ الْآخِرَةِ ،
وَكَانَ يَسْتَعِيدُ مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَعَیْرِهَا ... وَفِي دُعَائِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «وَعَافِيَتِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ» ...
انتهى، من " تهذيب موعظة المؤمنين " (287-288).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" الناس إزاء المصيبة على درجات:

الأولى: الشاكر.

الثانية: الراضي.

الثالثة: الصابر.

الرابعة: الجازع.

أمَّا الجازع : فقد فعل محرماً ، وتسخط من قضاء رب العالمين الذي بيده ملكوت السموات والأرض ، له الملك يفعل
ما يشاء .

وأمَّا الصابر: فقد قام بالواجب، والصابر: هو الذي يتحمل المصيبة، أي يرى أنها مرة وشاقة، وصعبة ، ويكره
وقوعها، ولكنه يتحمل، ويحبس نفسه عن الشيء المحرم ، وهذا واجب .

وأمَّا الراضي: فهو الذي لا يهتم بهذه المصيبة ، ويرى أنها من عند الله فيرضى رضاء تاماً، ولا يكون في قلبه تحسر،

أو ندم عليها؛ لأنه رضي رضاً تاماً، وحاله أعلى من حال الصابر.
والشاكِر: هو أن يشكر الله على هذه المصيبة.

ولكن كيف يشكر الله على هذه المصيبة وهي مصيبة؟
والجواب: من وجهين:

الوجه الأول: أن ينظر إلى من أصيب بما هو أعظم، فيشكر الله على أنه لم يصب مثله.

الوجه الثاني: أن يعلم أنه يحصل له بهذه المصيبة تكفير السيئات، ورفعة الدرجات إذا صبر، فما في الآخرة خير مما في الدنيا، فيشكر الله، وأيضاً أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، فيرجو أن يكون بها صالحاً، فيشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة.

والشكر على المصيبة مستحب؛ لأنه فوق الرضا؛ لأن الشكر رضا وزيادة".
انتهى من الشرح الممتع (5/395-396).

ثانياً:

لا يؤدي الشكر على المصيبة إلى زيادتها، لأن قول الله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) إبراهيم/7؛
إنما هو في شكر النعمة، وليس في الشكر على المصيبة، بدلالة قوله بعدها: (وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) قال
السعدي رحمه الله:

" (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ)؛ أي: أعلم ووعد، (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) من نعمي (وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)، ومن ذلك
: أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها عليهم. والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله، والثناء على الله بها، وصرافها في
مرضاة الله تعالى. وكفر النعمة ضد ذلك "

انتهى من "تفسير السعدي" (ص: 422).

وينظر إجابة السؤال رقم: (125984).

وراجع إجابة السؤال رقم: (146025) لمعرفة الفرق بين الحمد والشكر.

والله أعلم.